المحاضرة (7): رواد علم الاجتماع (3) أجوست كونت(1798-1858)

VII–أجوست كونت: (1798-1858).

1-ظروف نشأته:

ولد كونت في مونتبليه في فرنسا، درس في معهد البوليتكنيك، ورغم خلفيته العلمية؛ إلا أنه كان مهتما بالمجتمع والعلوم الاجتماعية. عمل سكريتيرا لـ سان سيمون واشترك معه في تأليف أعمال أهمها"وضع خطة لإصلاح المجتمع الفرنسي، وإعادة تنظيمه على أسس علمية قاعدتها الفلسفة الوضعية". وقد واجه المفكر مشكلات نفسية بعد انفصاله عن سان سيمون، وقد رأى في نفسه رسولا إصلاحيا؛ مما جعله ينادي بديانة عالمية للإنسانية. تأثر كونت بالظروف الفكرية والموضوعية لعصره، التي سادتها افتراضات بأن عقلانية الإنسان هي التي تحكم البيئة وتطورها التقدمي. (إبراهيم عيسى عثمان، 2009، ص65). هذا الاعتقاد قاد كونت إلى افتراض بأن الواقع الاجتماعي موضوعي وهو مماثل للواقع الطبيعي. كما نمت معتقدات أخرى تؤكد على وحدة المجتمع الإنساني. تلك هي الظروف التي ساهمت في تبلور الفكر الاجتماعي في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

كانت غاية سان سيمون تنظيم أوروبا على قاعدة علمية صناعية، ففكر بضرورة وجود علم جديد موضوعه الإنسان والمجتمع يتم بناؤه قياسا على العلوم الطبيعية، ويرى أن دراسة المجتمع ينبغي أن تجمع بين جانبين: يركز الأول على تاريخ تطور المجتمع، والثاني على الجانب العلائقي بين أجزاء المجتمع، وقد توصل مع كونت أن تطور النمط الفكري يمثل عملية التقدم.كل هذه الأفكار ساهمت في تشكيل فكر كونت، مما دفعه إلى تبني الفلسفة الوضعية.

2- ظروف كانت وراء تأسيس كونت لعلم الاجتماع:

كان المناخ الذي ساد فرنسا أعقاب الثورة الفرنسية ممهدا لظهور أفكار كونت، فظهرت فكرة إصلاح المجتمع وإعادة تنظيمه، ولقد اعتقد أن الفوضى التي كانت سائدة لا ترجع إلى أسباب سياسية؛ بل تعود إلى أسباب عقلية أو اضطراب في طرق التفكير. فلكي يتطور المجتمع لا بد من وجود اتفاق عقلي وليس اتفاق في المصالح المادية والمنافع.

لقد اعتقد أن فوضى التي كانت سائدة في المجتمع لفرنسي تعود إلى وجود أسلوبين متناقضين في التفكير، تفكيرا عقليا من خلاله يتم تناول الظواهر الكونية والطبيعية، وتفكيرا دينيا ميتافيزيقيا يتناول ظواهر تتعلق بالإنسان، هذه الفوضى أدت إلى فساد الأخلاق والسلوك، وللقضاء على هذه الفوضى عرض كونت ثلاث تصورات:

أ-التوفيق بين التفكير الوضعي والميتافيريقي.(هذا الحال يتضمن منهجين متناقضين).

ب-جعل المنهج الديني والميتافيزيقي منهجا عاما تخضع له جميع العقول والعلوم(وهذا يعني القضاء على الحقائق الوضعية).

ج-تعميم المنهج **الوضعي**. وبالتالي لا بد من قبول هذا المنهج وتعميمه، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توافر شرطان: أن تكون الظواهر خاضعة لقوانين، وأن يستطيع الناس الوقوف على هذه القوانين لكي يفهموا تلك الظواهر. ومن ثم لابد من وجود علم تنطبق عليه هذه الشروط وهو علم الاجتماع

3–علم الاجتماع والفلسفة والوضعية والعلوم:

كان كونت من الأوائل الذين حاولوا بناء نسق معرفي خاص بالمجتمع، أطلق عليه في البداية بالفيزياء الاجتماعية، ثم تراجع عن هذا الاسم لاستخدامه من طرف لابليه، فعاد وسماه بعلم الاجتماع.

رأى كونت أن الفكر الوضعي في الرياضيات والفيزياء قد اتخذ طابعا عالميا، ولهذا لا بد أن يتصف علم الاجتماع بنفس تلك الخصائص. وعلى هذا الأساس عرف موضوع هذا العلم بما يسمح من بناء علم على أساس افتراض واقع اجتماعي له حقيقة موضوعية ووجودا مستقلا يمكن ملاحظته ودراسته من خلال مكوناته وما بينها من علاقات.

وموضوع هذا العلم هو المجتمع الإنساني، تطوره وبناؤه، يهتم في شقه التاريخي بدراسة العقل الإنساني وأنماط الفكر ضمن مراحلها التاريخية، ويهتم في حالة ضبط العامل الزمني بدراسة البنية العلائقية لأجزاء الوحدة الاجتماعية، ثم دراسة ما يترتب على تطور العقل من بناءات ونظم وأفعال. أما أقسام علم الاجتماع فهي:

-**الاستاتيكا الاجتماعية:** وتشمل الطبيعة الاجتماعية (الدين، الفن، الأسرة، التنظيم الاجتماعي): وتعني الاستاتيكا الاستقرار، حيث تهتم بالشروط الضرورية لوجود المجتمع الإنساني، ويكون التركيز على النظام العام أو البناء الاجتماعي: مكوناته وترابط أجزائه. وقد توصل من دراسته لهذا الجانب إلى أن المجتمع يتكون من الفرد والأسرة والدولة.

انتهى كونت من دراسته للاستاتيكا الاجتماعية إلى قانون التضامن الاجتماعي المادي والروحي. وفي هذا السياق دعا إلى الاهتمام بالتربية والتعليم ونظام الأسرة والدولة، كما تناول الإصلاح الأسري، كما نادى بتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، ودرس أيضا الناحية الدينية في المجتمع، وأكد على ضرورة وجود ديانة وضعية .

-**الديناميكا الاجتماعية:** وانتهى في دراستها إلى نظريتين هما:

* نظرية التقدم: يرى كونت بضرورة خضوع التقدم الاجتماعي لقوانين، ويرى بأن انتقال الإنسانية من مرحلة لأخرى لابد وأن يكون مصحوب بتقدم مادي وآخر في الطبيعة الإنسانية، وأكد على أن التاريخ يحكمه ويوجهه نمو الأفكار.

* قانون الحالات الثلاث: ومفاده بأن المجتمع انتقل في تفكيره عبر ثلاثة مراحل: المرحلة الدينية، والمرحلة الميتافيزيقة والمرحلة الوضعية.

4-نظرة كونت للمجتمع: أخذ كونت بالنظرة العضوية التي تفترض وحدة الكل، وترجيح أهمية الكل على حساب الأجزاء، بحيث لا يمكن فهم الأجزاء إلا في إطار الكل. ويتشكل المجتمع وينتظم ويتوحد على قاعدة من الأفكار المشتركة ، فالمجتمع يصبح ممكنا ويستمر إذا حمل أعضاؤه نفس المعتقدات والأفكار.

5-منهج كونت: يقوم هذا العلم على منهجية موضوعية تتضمن: الملاحظة والتجربة والمنهج التاريخي(المنهج السامي) والمنهج المقارن، وقد وضع كونت هرم لتسلسل العلوم تبدأ بالرياضيات وتنتهي بعلم الاجتماع الشامل.